

تحركات قبائل البوار في مقاطعة موريطانيا القيصرية ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني.

**The movements of the Boer tribes in the province of
Mauretania caesariensis and their role in resisting the Roman
occupation.**

نجوى راشي¹

جامعة محمد لمين دباغين، n.rachi@univ-setif2.dz¹

تاريخ الإرسال: 2025 / 09 / 19 ؛ تاريخ القبول: 2025 / 11 / 07 ؛ تاريخ النشر: 2025 / 12 / 15

الملخص باللغة العربية:

شكلت مقاطعة موريطانيا القيصرية فضاءً واسعاً لتحركات القبائل النوميديّة والموورية التي كانت تقاوم الاحتلال الروماني، هذا الأخير الذي حاول فرض سياسة الاستيطان في المناطق الداخلية الغنية بالأراضي الزراعية، ولتعزيز تواجده أكثر في المنطقة، استخدم ما يعرف بخط الليمس الذي أثر على طبيعة النمط المعيشي الذي ساد بين القبائل المحلية الجبلية، أبرزها قبائل البوار التي اشتهرت بتحركاتها المستمرة بين الهضاب العليا وجبال الباور و الونشريس... الخ، هذه الحركة البشرية التي أحدثت فجوات كبرى داخل المشروع التوسعي الروماني، خاصة بعدما اعتمدت على سياسة عقد التحالفات مع أهم الزعماء وأمرأ القبائل الأخرى بهدف ضرب تحصينات الجيش الروماني الذي لطالما زعزع تمركزهم الجغرافي بين الشرق والغرب، إلا أنه رغم التطرق إلى هذه المسألة من قبل العديد من المصادر الأدبية القديمة، إلا أن البحث في هذا الجانب يبقى محدوداً ومجرد فرضيات في ظل غياب النقوش الأثرية وصعوبة تناوله من طرف المختصين في التاريخ القديم، وهنا يبقى الباحث مطالباً ببناء تصورات وفرضيات حول هذه القبائل وتحولاتها الديمغرافية، وبالتالي سنسعى في هذه الورقة البحثية إلى إبراز الموطن الأصلي لهذه

المؤلف المرسل: نجوى راشي

القبائل وتحركاتها الجغرافية في موريطانيا القيصرية ، والنظر في مدى مساهمتها في مقاومة الاحتلال الروماني خلال منتصف القرن الثالث ميلادي.

الكلمات المفتاحية:

قبائل البوار؛ موريطانيا القيصرية؛ جبال بابور والونشريس؛ الاحتلال الروماني؛ النقوش الأثرية.

Abstract: The province of Mauretania caesariensis formed a wide space for the movements of Numidian and Moorish tribes that were resisting the Roman occupation, the latter, who tried to impose a settlement policy in the interior areas rich in agricultural lands, and to strengthen his presence more in the region, he used the so-called limes line, which influenced the nature of the lifestyle that prevailed among the local mountain tribes, most notably the Boer tribes, famous for their constant movements between the upper plateaus, the Babur mountains and aluncheris...This human mobility, which created major gaps within the Roman expansionist project, especially after it relied on the policy of making alliances with the most important leaders and princes of other tribes in order to strike fortifications The Roman army, which has always destabilized their geographical position between East and West, however, despite this issue being addressed by many ancient literary sources, Research in this aspect remains limited and mere hypotheses in the absence of archaeological inscriptions and the difficulty of addressing it by specialists in ancient history, and here the researcher remains required to build perceptions and hypotheses about these tribes and their demographic.

Keywords: Bavares tribes; Mauretania caesariensis; Babor and Ouarsenis Mountains; Roman occupation; Epigraphic evidence.

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب القديم على غرار المجتمعات القديمة ، نظاما قريبا منذ فجر التاريخ واستمر عبر مختلف عصوره، نتيجة التراكمات الاجتماعية التي عرفت هذه المنطقة بين فترات السلم والحرب من جهة ، واحتكاكها مع مختلف الشعوب المجاورة من جهة أخرى ، فتكونت اتحادات قبلية انبثقت منها كيانات سياسية في شكلها الملكي على هيئة كنفدراليات كبرى من أبرزها : قبائل النوميدي ، المور ، البوار(البافار) ، ...الخ.

تحركات قبائل البوار في مقاطعة موريطانيا القيصرية ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني

استنادا إلى المصادر القديمة التي استطاعت تقديم لنا كباحثين في التاريخ القديم معلومات متفاوتة الأهمية عن التمرکز الجغرافي لهذه القبائل المحلية، هذه الأخيرة التي تمكّنت من تشكيل كنفدراليات مؤقتة، زيادة عن شهرتها بقوتها و كثرة تحركاتها في ظل نمطها المعيشي المزدوج الذي تفاوت بين حياة الترحال المستمر أو الاستقرار، إلا أنه مع احتلال الرومان إلى شمال إفريقيا، سخر هذا الأخير كل إمكانياته المتاحة من أجل إخضاع هذه القبائل وتفتيحها ثم محاولة تهجيرها إلى مشارف الصحراء، مما أثر على طبوغرافية الجغرافية للمنطقة وتركيبها الاجتماعية .

يندرج موضوع دراستنا ضمن إطار مكاني محدد يكمن في المنطقة الجغرافية الشرقية من موريطانيا القيصرية من خلال التطرق إلى أبرز القبائل المحلية التي استطاعت رسم معالمها التاريخية وثوراتها العسكرية ضد السلطة الرومانية ، ألا وهي قبائل البوار (Bawares) ، هذه الأخيرة التي رفضت الخضوع للاحتلال الروماني ومقاومته بكل الوسائل المتاحة في ذلك منذ القرن الثالث ميلادي ، ونلمح هذا الأمر من خلال التنسيق المنظم بينها وبين القبائل المحلية الأخرى ذات الهدف المشترك -تحرير الأراضي الإفريقية من الاحتلال الروماني-.

في هذا السياق يمكننا أن نحدد الهدف العام من هذه الورقة البحثية التي ارتكزت بالاعتماد على مجموعة من النقائش الأثرية المكتشفة إلى محاولة فهم الوضعية المعيشية التي كانت تعيشها قبائل البوار (Bawares) على غرار بقية القبائل المحلية الأخرى في ظل الاستيطان الروماني، من خلال رصد أهم المحطات التاريخية واكبت تحركاتها في مقاطعة القيصرية، ألا وهي قبيلة البوار من خلال ذكر أهم التسميات التي دوّنت في سجلات النصوص الأدبية القديمة و النقوش الأثرية، زيادة إلى التطرق إلى أبرز الأماكن الجغرافية التي تركزت فيها، محاولين إبراز الدور التاريخي الذي اضطلعت به هذه القبائل في ظل المشروع التوسعي التي تبنته السلطة الرومانية في بلاد المغرب القديم منذ سنة 146ق.م بين الإستراتيجية الأمنية والأهمية الاقتصادية، هذه الأخيرة التي اعتمدت في سبيل توسيع وتطوير خط الليمس على توظيف الفرقة الاغسطية الثالثة لقمع أي تمرد وردّ فعل شعبي محتمل في جبال الأوراس ، الجرجرة و الونشريس...الخ.

من هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية : إلى أي مدّى أثر انتشار قبائل البوار على المشروع التوسعي الروماني في بلاد المغرب القديم ؟، ما هي أهم الأقاليم الجغرافية التي تركزت فيها هذه القبائل ؟ ، ما هي أهم الثورات العسكرية التي قاومت بها ضد السلطة الرومانية من خلال النقائش الأثرية القديمة ؟.

ارتأينا في هذه الورقة البحثية على الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي الذي يهتم بوصف الأحداث التاريخية و تسلسلها الكرونولوجي في الزمان والمكان من خلال استقصاء أهم المعلومات والمحطات التاريخية التي تحدثت عنها المصادر القديمة ، محاولين في نفس الوقت استنطاق الشواهد الأثرية التي ذكرت بعض الإشارات والشذرات التاريخية حول قبيلة البوار بغية توضيح الحقيقة المتضاربة حول الوضعية المعيشية التي كانت تعيشها جلّ القبائل المغاربية القديمة في ظل التحولات الجيوسياسية التي شهدتها المقاطعات الإفريقية في القرن الثالث والرابع الميلاديين .

1- واقع القبائل المغاربية القديمة في ظل الاحتلال الروماني:

قبل الحديث في موضوع دراستنا المتحور أساسا حول تحركات قبائل البوار في القرن الثالث الميلادي ، لابد من التطرق إلى الوضعية التاريخية التي كانت تعيشها القبائل المغاربية بصفة عامة في ظلّ السياسة التوسعية التي انتهجتها السلطة الرومانية في شمال إفريقيا ، والظروف المؤدية إلى زعزعة استقرارها خاصة بعدما وضعت الخط الدفاعي المعروف باسم خط الليمس.

كانت القبيلة (Gentes) تنقسم أحيانا إلى كونفدراليات مختلفة، وقد عرفت أوضاعاً إدارية متباينة، إذ أن بعضها كان خاضعا لرقابة السلطة الرومانية، يشرف على كل منها حاكم غالبا ما يكون من الضباط القدامى ذوي الأصول المحلية في الجيش الروماني، ومع أن هذه القبائل احتفظت بتنظيمها خارج الإطار الروماني، فإنها كانت تملك أراضي زراعية داخل المقاطعات الرومانية، وأما في فترات الاضطرابات أو ضعف النظام الروماني، فكانت تستعيد بسهولة روح الاستقلال، متخلصةً من أولئك الحكام دون أن يطلق حاكمها شرارة الثورة (شنيتي، 1984:184).

مما تجدر الإشارة إليه أن القبيلة المغاربية قديما كانت بمثابة جسم متحرك تتحكم فيه تراكمات اجتماعية في السلم والحرب، فقد توزعت عشائر القبيلة الواحدة في جهات مختلفة، وغدت حركة القبائل بذلك أداة للدمج الاجتماعي، ولكنها لم تُنشئ فواصل ثقافية أو اجتماعية أو دينية فيما بينها رغم وجود حدود سياسية في بعض مراحل تاريخها (عقون، 2008: 171)، بالإضافة إلى تشابه بنياتها الاجتماعية ومكوناتها المادية والمعنوية، وتماثلت نظرتها إلى الأجنبي في علاقاتها مع الغرباء، مع إصرارها على الحفاظ على مقوماتها المعنوية وصون شخصيتها المتميزة، وقد عرفت هذه القبائل توازنا قائما على تعايش نمطين من الحياة مثلّهما المستقرون والرحل، سواء في السهول أو الجبال أو الهضاب العليا أو السهوب أو الصحراء، وكان الفرق الوحيد يتمثل في نمط المعيشة الذي

تحركات قبائل البوار في مقاطعة موريطانيا القيصرية ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني

تحدده الشروط الجغرافية والطبوغرافية، وحتى السياسية كحركة الرومان اتجاه هذه القبائل، وأما السهول الساحلية والجبال ذات المياه فكانت صالحة للزراعة وحياء الاستقرار، في حين لم تلائم الأراضي الجافة سوى حياة البداوة (العياضي، 2016: 252).

على هذا الأساس نجد أنَّ القبائل في بلاد المغرب القديم قد انقسمت إلى فئات متعددة: المستقرون في السهول والتلال وبعض الكتل الجبلية مثل الأطلس الأعلى وجبال الريف والأطلس التلي وجبال الأوراس، وكبار الرحل في التخوم الشمالية للصحراء، ثم شبه الرحل في الهضاب العليا والسهول الأطلسية ومعظم مناطق تونس الوسطى، إضافة إلى الجبليين المتنقلين بين الأطلس الأعلى والأطلس المتوسط والأوراس (العياضي، 2016: 13).

تحمت ظروف الحياة الرعوية والزراعية نشوء وحدات اجتماعية أوسع من العائلة، فالبداو اتحدوا لحماية الأراضي التي يمرون بها، بينما عمّد المزارعون إلى تشييد القرى لصدّ هجومات أعدائهم من البداو والرعاة، وفوق هذه العائلات الرعوية وجماعات القرى برزت القبائل التي مثلت دويلات صغيرة، فحدث صفوفها لأغراض الدفاع أو الهجوم (جوليان، 1969: 81)، وانتظمت في ما عُرف بالتحالفات القبلية (الكونفدراليات)، وقد نقل هذا التنظيم بلاد المغرب القديم إلى مفهوم الدولة في صورتها الملكية، إذ تحولت الرعامة القبلية مع هذا التطور إلى أسر ملكية انحدر منها ملوك نوميديون، مثلما حدث مع أشهر القبائل المغاربية (عقون، 2008: 169).

برزت مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي قبائل انتشرت في جميع أنحاء المغرب القديم، وبالتحديد في مقاطعة موريطانيا القيصرية، واستطاعت تشكيل كونفدراليات قبلية كبرى قاومت الاحتلال الروماني بالمغرب القديم، كان لها الدور الحاسم في سير الأحداث التاريخية في المنطقة، أبرزها نجد: قبائل البوار (Bawares) التي تمّ ذكرها في أهم المصادر القديمة (الأدبية والأثرية).

2- الحضور التاريخي لقبائل البوار :

تُعد هذه الأقوام من أهم القبائل الجبلية التي سجّلت حضورها التاريخي في النصوص الأدبية القديمة المتأخرة، زيادة عن بعض النقائش الأثرية التي تراوح عددها حوالي خمسة عشر نقيشة، برزت على مسرح الأحداث السياسية منذ القرن الثالث ميلادي، عرفت بتسميات مختلفة بسبب تناقلها المستمر من لغة إلى أخرى، ومن لهجة لثانية، ومن أبرزها: مصطلح البوار (Bawares)، البافار (Bavares)، البابار (Babares)، أو الدوار (Dawares) (قادري، 2002: 597).

امتدت تقريبا قبائل البوار ضمن المنطقة الجغرافية من التلّ الوهراني غربا إلى جبال بابور (سطيف) شرقا¹ (أنظر التعليق 1)، ويُعتقد أن اسمها مستوحى من هذا الجبل، وهو ما انعكس على طبيعتها، فكانوا قومًا جبليين يزرعون ويربون المواشي، بينما يرى كامبس (Camps) أن هذه القبائل كانت عبارة عن بدو متنقلين عبر السهوب² (أنظر التعليق 2)، من نهر ملوية إلى جنوبي سطيف، ويستوطن أغلبهم جبال الونشريس وحوض الشلف (Camps, 1955: 242)، كما دلت معظم الأبحاث المخصصة لهذه القبيلة على وجودها في مناطق مختلفة، إذ عُرفت بقوتها وكثرة عددها وتحركاتها المستمرة التي أقلقّت الاحتلال الروماني في مقاطعة موريطانيا القيصرية، وكثيرًا ما اتحدت تحت زعامة أمراء أو ملوك تعاونوا على ضرب تحصينات الليمس للجيش الروماني، وقد أكدت ذلك نقوش لامبيز (Lambaesis) التي نصت على أربع حملات عسكرية على هذه المدينة تعود لقبائل البوار (خاتمي، 2017: 26).

وقد حاول كامبس، انطلاقًا من مقاومات هذه القبائل في منطقة موريطانيا القيصرية، تقسيم هذه القبائل إلى مجموعتين كونفدراليتين تضمّان أجناسًا مختلفة، ولكنها تشترك في الاسم نفسه:

أ. **البوار الشرقيون:** امتدت هذه القبائل في أقصى الشرق الجزائري القديم، وتوزعت من الصومام إلى الوادي الكبير، شاغلةً مناطق سطيف وكويكول وميلة وخاصة جبال البابور وقرقور، ويُعتقد أنها تألفت من أربع قبائل في القرن الثالث، ويُقترح أن إحدى هذه القبائل كانت في جبال البابور، وهم الكوادسيميون (Koidamousei) الذين ذكرهم بطليموس، إضافة إلى قبائل أوكاتمي (Ucatami) الذين صاروا في الفترة الإسلامية قبائل كتامة كما أخبرنا عنهم ابن خلدون.

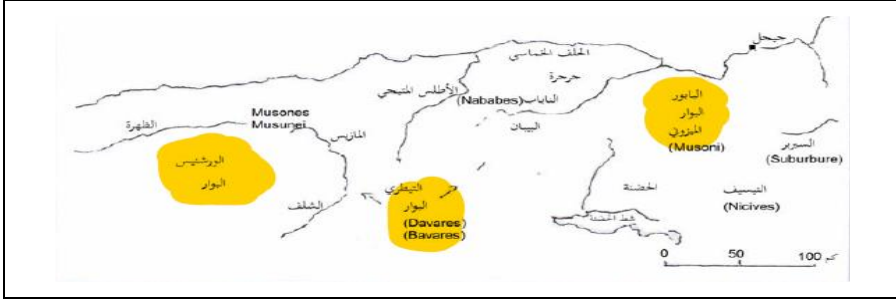
ب. **البوار الغربيون:** امتدت هذه القبائل في أقصى غرب الشرق الجزائري القديم، أي في جبال طراراس والظهرة والونشريس، ويؤكد في هذا السياق وجود كونفدراليتين تضمّان عدة أجناس مختلفة، ولكنها تشترك في اسم البوار في تلك المنطقة، وقد ربطتهم علاقة مع قبائل المازيس (Mazeces)³ (أنظر التعليق 3) في الأورشنيس، ومع البقواط⁴ (أنظر التعليق 5) في الأطلس الأوسط (Camps, 1991: 1394).

إلا أن الباحثة جهيدة مهنتل ترى أنها قبائل مغاربية كبيرة من أصل عرقي واحد مقسّمة إلى عدة فروع وسكنت عدة أماكن في مقاطعة موريطانيا، ولكنها لا تنقسم إلى

تحركات قبائل البوار في مقاطعة موريطانيا القيصرية
ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني

مجموعتين عرقيتين مختلفتين، بينما يذكر غبريال كامبس أنها عبارة عن مجموعة كبيرة واحدة مثلت أهم القبائل المغاربية خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن الثالث إلى القرن الخامس الميلادي (مهنتل، 2016: 438).

شكل 01: خريطة توضح تمركز قبائل البوار الشرقيين والغربيين في بلاد المغرب القديم



المصدر: (العياضي، 2017: 265).

3- الموطن الأصلي لقبائل البوار:

استنادا إلى الكتابات اللاتينية المكتشفة في عدة مناطق من بلاد المغرب القديم، ورد اسم هذه القبيلة منذ نهاية القرن الثاني الميلادي إلى أواخر القرن الخامس الميلادي (Camps, 1955: 266)، بينما تشير معظم المصادر القديمة إلى صراعها القائم بينها وبين السلطة الرومانية، خاصة بعد الاكتشاف الجديد للنقوش الأثرية في حدود سنة 2014م في منطقة البيض، حيث منح هذا الاكتشاف صورة جديدة لجمهور الباحثين عن مدى تحركات هذه القبيلة، ومن هنا يمكننا طرح الإشكال التالي: هل يمكن إقرار أن الموطن الأصلي لقبائل البوار كان في منطقة البيض أم لا؟، وأنه نتيجة مضايقة الرومان لهم في عقر دارهم، أن أجبروا على شد الرحال نحو المناطق الشمالية الشرقية، ومن الغريب أن المصادر لم تذكرهم إلا ابتداءً من الفترة المتأخرة خلال الاضطرابات العسكرية الذي شهدتها منطقة شمال إفريقيا في القرن الثالث الميلادي، فمعظم المؤرخين لم يذكروا إلى الدور التاريخي لهذه القبيلة، ولعل السبب الوحيد الذي يفسر هذا الصمت للمصادر القديمة هو أن قبيلة البوار لم تكن قبل القرن الثالث الميلادي في محيطها الأصلي، والذي تمّ تحديده في مرتفعات موريطانيا القيصرية أو نوميديا، بل كان موطنها الأول منطقة البيض البعيدة عن تيارات سطو الثقافة اللاتينية، وبذلك لم يدرك حتى وجودها.

يُعتقد أنه إثر هزيمتهم الأولى في أواخر القرن الثاني الميلادي، غادر عناصر هذه القبيلة موطنهم واتجهوا نحو الهضاب العليا الغربية لموريطانيا القيصرية، ليصلوا فيما بعد إلى الأطلس التلي، كما تؤكد كتابه وليلي وجودهم في الربع الأول من القرن الثالث، ومن المحتمل أنهم تفرعوا إلى مجموعات صغيرة سلكت مسارات مختلفة، وبذلك نجدها في مناطق أخرى من شمال إفريقيا، سواء بنوميديا أو في مقاطعة موريطانيا السطافية وموريطانيا القيصرية، والدليل على ذلك تسميات الفروع مثل البوار الماسقنانتس (Mesagneites) والبار تافنسيوس (Transtagnensibus) (أنظر التعليق 5)⁵، كونها أبرز النقاط القريبة من إقليم الونشريس (دريسي، 2014: 30-32).

في هذا الصدد يرى روني كانيا (R.Cagnat) أن موطن البوار هو منطقة جبال البابور بسطيف (Cagnat, 1913: 63)، غير أن المؤرخ ستيفان غزيل عارض هذا الافتراض واقترح أن تكون المقاطعة السطافية بأكملها أنسب لموطن البوار (شنتي، 1984: 344). في حين يذهب كامبس إلى القول أن البوار مجموعتان: بوار الغرب، وكان موطنهم ما بين نهر ملوية إلى مرتفعات الونشريس والظهرة، وبوار الشرق من الونشريس إلى مشارف نوميديا (Camps, 1955: 266).

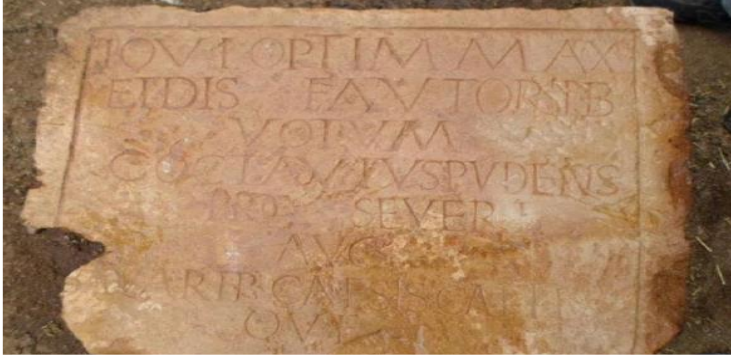
4- مقاومة قبائل البوار من خلال المصادر الأثرية والأدبية:

ورد ذكر هذه القبائل الجبلية في كثير من الوثائق الأدبية والأثرية نظراً لحيويتها وحركيتها في بلاد المغرب القديم، خاصة بعد اشتداد حدة الثورات ضد روما في أواخر القرن الثالث الميلادي، وقد أطلق المؤرخون على هذا القرن اسم "أزمة القرن الثالث" نتيجة لما شهدته روما من توترات على مختلف الأصعدة، وعلى هذا الأساس جاء ذكر هذه القبائل في:

1.4- المصادر (النقوش) الأثرية:

تعدّ النقوش الأثرية من أبرز المصادر التي اعتمدها الباحثون في إثبات تواجد هذه القبائل في بلاد المغرب القديم، إذ وصفتهم بالشعب الكبير (Gentis multus) (عقون، 2008: 160)، خاصة بعد الاكتشاف الأخير لنقش أثري في منطقة البيض سنة 2014 (أنظر التعليق 6)⁶ يشير إلى قبائل البوار (دريسي، 2014: 21)، وقد عثر عليه أحد سكان المنطقة عقويا، كما أثبتت دراسة الباحث الأثري سليم دريسي حول هذا النص مدى قدم هذه الوثيقة الأثرية، وبالتالي أصبح من الضروري إعادة ترتيب النقوش كرونولوجياً، إذ يُعتقد أنها أرخت ما بين [198-200م].

تحركات قبائل البوار في مقاطعة موريطانيا القيصرية
ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني
شكل 02: النقيشة الأثرية المكتشفة بالببيض



المصدر: (دريسي ، 2014: 21)

جدول 01: نص كتابة النقيشة الأثرية

-IOVI OPTIM (O) MAX (IMO)
ET DIS FAUTORIB (US)
VOTUM
C(AIUS) OCTAVIUS PEDENS
PROC(URATORI) SEVERI
AUG (USTI)
BAVARIB (US) CAESIS CAPTIS
QUE

عند محاولة تفسير عبارات هذه النقيشة يتضح أنها إهداء إلى الإله جوبيتر الطيب والأعظم وإلى الآلهة المناصرة، وقد قدمه حاكم موريطانيا القيصرية كايوس أوكتافيوس بودنس (C. Octavius Pudens) في عهد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس [193-211م]، مسجلا به انتصاره على البوار الذين قُتلوا وأُسروا، كما توضحه العبارة الأخيرة من نص الكتابة (خاتمي، 2017: 33).

وإضافة إلى ذلك، نجد نقيشة ويلي (Volubilis) في موريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى):

جدول 02: نص كتابة نقيشة ويلي (Volubilis)

I(ovi)[O(ptimo)M(aximo)]/ceterisq(ue)diis(!)d[eabus(que)immortalibus pro salute et incolumit(ate)]/et victoria
imp(eratoris)C(aesaris) [M(arci) Aureli
SeveriAlexandri(?)PiiFelicis/[A]ug(usti)Q(uintus)Herreni[us3]/v
(ir)e(gregius)pro(urator)eius colloquium]/[cu]m[
Au]relio(?)[3]princ(ipe) gentis Bavarum et Baqua]/tium pa[cis
firmand[ae gratia habuit aram(que) posuit et
dedicavit]/[idib(us)sep]tembribus i[mperatore]Alexandro
Aug(usto)IIAufidio Marcello II co(n)s(ulibus?)]

وقد كشفت هذه الكتابة عن معاهدة سلم عُقدت بين الحاكم العسكري، الذي لا يظهر اسمه، وبين قائد قبيلتي البوار والبقواط، إذ أقام أحد النبلاء الرومان المعروف باسم كوينتوس هيرينيوس (Quintus Herrenius) مذبحاً وأهداه في هذه المناسبة إلى الإله جوبيتر وكل الآلهة الأبدية، وإلى سلام وانتصار الإمبراطور ألكسندر سيفيروس [222-235م] (دريسي، 2014: 23).

كما أنَّ هناك كثيراً من الكتابات اللاتينية التي تناولت ذكر قبائل البوار ومقاومتها للاحتلال الروماني، وستتطرق إليها في العنصر القادم.

2.4- المصادر الأدبية:

ذُكرت هذه القبائل في وثائق الفترة الرومانية المتأخرة (العهد الإمبراطوري الثاني) في كتاب Cosmographia للكاتب الروماني أونوريوس (L. Honorius)، والذي يُعد بدوره وثيقة إثنوغرافية لاحتوائه على معلومات دقيقة، ورغم أن هذا الكاتب لم يذكر قبائل البوار في المنطقة الشرقية كما أكدت النقوش الأثرية وجودهم، فإن ذلك ربما يرجع إلى تركيزه على المنطقة الغربية التي شهدت توترات شديدة، أي أنه اعتمد في تصنيفه على درجة الشهرة التي بلغتها هذه القبائل بمشاركتها البارزة في الثورات التي اندلعت في النصف الثاني من القرن الثالث، وقد حدد في إحدى فقرات كتابه تواجد قبائل البوار إلى جانب قبائل البقواط على طرفي نهر ملوية فوق أرضٍ خصبة تحيط بالجزء الأقصى من مقاطعة موريطانيا.

تحركات قبائل البوار في مقاطعة موريطانيا القيصرية
ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني

«Fluvius Malva nascitur sub insulas Fortunatas circuiens extremam partem Mauretaniae, includens inter Barbares et Bacuate.»

(مهنتل ، 2016 : 428-429)

بالإضافة إلى ذلك ، نجد الباحث يان مودران (Moderan) الذي أحصى في رسالته حول الموريين إحدى وعشرين قبيلة ذكرها أونوريوس ، بعد نزع الأسماء التي أدرجت بالخطأ في المغرب القديم ، متبعا ترتيب هذه القبائل من الشرق إلى الغرب ، وتأتي قبائل البوار (Bavares) في المرتبة الثامنة عشرة (Moderan, 2003 : 154).

الجدير بالذكر أن هذه القبائل قد حظيت بذكرها أيضا في الكتاب المعنون بكتاب الأجيال (Liber Generationis) الذي يحصي بدوره عدد الشعوب القديمة من الشمال إلى الجنوب ، وبالاتجاه من الشرق إلى الغرب :

«Gentes autem quae suas habent sunt: Mauri Bacuates et Mssena, Gaetuli, Afri qui et Barbares.» (مهنتل ، 2016 : 429)

في هذا الصدد حاول بنابو (Benabou) أن يقدم تفسيراً لهذا النص ، مبينا أن قبائل البقواط والمكنيت والجيتول كانت في الغرب ، بينما قبائل البوار والمازكاس كانت في الشرق (Banabou, 1976).

أما الباحث أميان مرسلان (Marcellinus) فكتب اسمهم بحرف الدال (Daveres) (Marcellin, 1984)، وذكرهم بجوار قبائل المازكاس ، في حين تحددهم قائمة فيرونا (Liste de Vérone) بين قبائل المازكاس والبقواط في الجزء الغربي من موريطانيا القيصرية :

«Item gentes quae in Mauretania sunt Mauri Gentiani, Mauri Mazices, Mauri Barbares, Mauri Bacuates.» (مهنتل ، 2016 : 429)

5-الدواعي والأسباب الحقيقية وراء مقاومة قبائل البوار :

سعت هذه القبائل إلى استرجاع أراضيها الزراعية التي سلبها الرومان ، ووقفت في وجه التحصينات العسكرية التي حرمتها من ممارسة حياتها السابقة التي اعتادت عليها قبل سياسة الرومنة ، حيث عملت هذه الأخيرة على تثبيت الإنسان المغاربي القديم وربطه بالأرض ، ومن أجل تعميم زراعة الزيتون ضاعف الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس وأبناؤه (193-235م) من مقاومة البدو الذين كانت الأسرة الأنطونية قد نظمت ترحالهم ، وفي المقابل تضاعف الإقبال على أراضي الإنتاج ، مما حتم طرد البدو والرحل من الأراضي

الزراعية التي كانوا ما يزالون يملكونها بهدف توسيع نطاق الاحتلال الروماني، ولم يقتصر الأمر على حشدتهم فقط، بل طاردهم الرومان حيثما أمكن استغلال أراضيهم، ويُعد خط الليمس خير دليل على الحاجز العسكري والاقتصادي الذي فرضته روما لتطويق حصار هذه القبائل الجبلية (Camps, 2007: 124).

كانت قبائل البوار، كغيرها من القبائل المغاربية الأخرى، ضحية للمشروع الروماني، إذ حالت سياسة الرومنة دون وصول القبائل الجبلية إلى متنفسها الطبيعي، أي السهول، فهناك قاعدة شبه عامة تقضي بنزوح هذه القبائل نحو السهول الداخلية، غير أن هذا الوضع تغير مع الاحتلال الروماني، إذ أن الليمس في القرن الأول الميلادي تحدّى الجبال، لأن روما كانت ترى في الجبل حصنا تتحصن وراءه القبائل المناهضة، ولهذا شددت على إقامة المعسكرات المتقدمة لمراقبة المحطات الصحراوية عن بعد، والحدّ من حركية القبائل المتنقلة بين الشمال والجنوب، مع توزيع الجنود وإنشاء محطات متقدمة على الطرق الصحراوية الكبرى، كما أن نقل الليمس خلال القرن الثالث الميلادي إلى الأطراف الجنوبية للكتل الجبلية، بغية خلق مراكز في قلب الصحراء، أدى إلى تصدع في الانسجام الطبيعي بين أنماط الحياة التي اعتادت عليها القبائل المغاربية، فبعضها كانت تمارس ما يُعرف بـ"العشابة"، وهي خاصية البدو والرحل، أي التنقل الموسمي بالماشية بحثا عن المراعي الخصبة، غير أن تضيق الخناق وإغلاق المنافذ بواسطة العمارات العسكرية بين هذه المواقع سيؤدي حتما إلى اختناقها واضطرابها، ومن ثم ثورتها دفاعا عن محيطها الأصلي وحفاظا على ديمومة وجودها (شنيتي، 1984: 156).

في حين يذهب المؤرخ كاركوبينو إلى أن من بين الأسباب التي أدت إلى تمرّد هذه القبائل يرجع إلى استغلالها لضعف الإمبراطورية الرومانية خاصة سنة 253م، نتيجة الانقسام الذي أحدثه الخلاف بين فاليريانوس (Valerian) وإميليانوس (Aemilian) (العياضي، 2017: 263).

6- مقاومة قبائل البوار للاحتلال الروماني من خلال النقوش الأثرية:

هددت هذه القبائل الجبلية الاحتلال الروماني خاصة في مطلع النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، واستمر ذلك تقريبا إلى غاية القرن الخامس الميلادي، إذ كشفت عدّة نقوش أثرية عن انتصارات القادة الرومان على البوار الثائرين، سواء الشرقيين منهم أو الغربيين، ويمكن حصر الكتابات اللاتينية التي تعكس التسلسل الزمني والأحداث التاريخية الناجمة عن تحركات هذه القبيلة، في المناطق الشرقية أو الغربية على حد سواء، على النحو الآتي:

1.6- نقش لامبيز (Lambaesis) بمقاطعة نوميديا المؤرخة بين 253-256م:

تعد هذه النقشية، المؤرخة حسب الباحث كريستول بين 253-256م (Christol, 1976 : 76)، من أكثر المصادر الأثرية أهمية لها يقدمه من معلومات تاريخية ، إذ يذكر إهداء قام به حاكم مقاطعة نوميديا كايوس ماكربنيوس في عهد الإمبراطورين غالينوس وفاليريانوس، وهي تشير إلى أحداث وقعت على طول حدود مقاطعتي موريطانيا القيصرية ونوميديا، إذ قدم ماكربنيوس الإهداء إلى الإله جوبيتر وكل الآلهة الأبدية بعد انتصاره على البوار الذين قادهم أربعة ملوك نوميديون لغزو نوميديا، وتؤكد الكتابة انهزامهم أولا بجوار مدينة ميلاف (نوميديا)، وثانيا بالقرب من الحدود النوميديّة الموريطانية، كما تذكر النقشية انهزام قبائل الحلف الخماسي⁷ (أنظر التعليق 7) وقبائل الفراكسن (Phraxenanses)⁸ (أنظر التعليق 8) المتحالفة مع البوار، وكان القائد المشهور فاركسن قد انضم مع جنوده القادمين من مرتفعات بلعباس، وزحفوا جميعا على نوميديا و احتلوا أراضيها ما بين 253-254م، وأخذوا عددا كبيرا من الأسرى، حتى إن الأسقف كيريانوس اضطر إلى جمع مبلغ ضخم من المال لافتداء النصارى، وخاصة العذارى اللواتي كان يُخشى عليهن من الاغتصاب، وقد استمرت المعارك والثورات في سور الغزلان سنة 255م، وفي لامورسيار سنة 257م... إلى أن قُتل القائد فاركسن سنة 259م، ولم تبدأ الفتنة إلا في سنة 262م (صفر، 2008، 373).

جدول 03: نص كتابة نقيشة لامبيز

I (ovi) O(ptimo) M(aximo) / ceterisq (ue) diis (!) deabusq (ue)
immortal
Ib (us/ C (aius) Macrinus Dcianus v (ir) c(arissimus) legat (us) / Augg
(ustorum) pr(o) pr(aetore) prov (inciarum) Numidae et No / rici
Bavaribus qui adunatis IIII / regibus in prov (inciam) Numidiam in /
ruperant pri mum in
regione / Millevitana iterato in confi / nio Mauretaniae et Numidi / ae
tertio Quinquegentaneis / gentilibus Mauretaniae Cae / sariensis item
gentilibus Fra / xinensibus qui provinciam / Numidiam vastabant cap /
to famosissimo duce eorum / caesisfugatisque.

رغم أهمية هذه الثورة وامتدادها إلى كامل القيصرية ونوميديا، وعدم تمكن الجيش الروماني من القضاء عليها إلا في سنة 260م، فإن المصادر الأدبية لم تتعرض لها إلا نادرا، وظلت جد شحيحة، ولهذا حاول بعض المؤرخين افتراض بعض الأسباب، منها:

ان البوار الشرقيين هم المتسببون في هذه الثورة، وهؤلاء كانوا يقطنون بين جرجرة والحدود الشمالية الغربية لنوميديا، أي في جبال قرقر وسلسلة جبال البابور، وبهذا يشتركون جغرافيا مع قبائل الحلف الخماسي في منطقة القبائل الكبرى، الأمر الذي يجعل من غير المستبعد أن يكون سبب ثورتهم رفضهم لتضييق الخناق عليهم وحصارهم، وهو ما أدى إلى منع علاقاتهم بالسهول المجاورة وحرمانهم من النزول لتلبية حاجاتهم، فالمناطق الجبلية فقيرة وتستدعي تعاملهم مع المزارعين في السهول، غير أن التحصينات الرومانية المقامة عند سفوح الجبال، وتحذير المزارعين في السهول من التعامل مع الجبليين، أدى إلى انعدام التوازن بين الطرفين، وهو ما دفع البوار إلى رد فعل قوي سرعان ما انتشر ووجد صده لدى الحلف الخماسي والفراكسينانسس (مقدم، 2019: 113).

2.6- نقيشة مهديّة (منطقة سطيف) بمقاطعة موريطانيا السطايفية المؤرخة بين 253-260م:

عُثر على هذه النقيشة في سهل سطيف، ويشير إلى الاضطرابات نفسها التي شهدتها تلك السنوات، إذ أُسندت إلى قبيلة البوار جميع الأحداث الدامية التي عرفها المغرب القديم، ولعل ذلك يرجع إلى غياب الفرقة الأغسطية الثالثة، الأمر الذي ساعد على تدهور الوضع الأمني في كامل شمال إفريقيا (Cagnat, 1913: 65).

جدول 04: نص كتابة نقيشة مهديّة

Se si[.....]
Bavaribus [...] [.....]
[...] .rebellibus et in
[p] riori praessidatu [
[e] t post in dicatu
[M (arcus)Cornel (ius) Octavianus
Pr (aefectus) class (is) prae (t oriae)

Misen(sis) fe cita gens [gratias]

يتحدث هذا النص عن إهداء قام به حاكم موريطانيا القيصرية ماركوس كورنيليوس أوكتافيوس الذي شارك في إخماد ثورات البوار المتمردين، مما يؤكد تواجدهم داخل حدود الليمس، كما ترأس هذا الحاكم معاهدة السلم، وتذكر الكتابة مراتب عليا تقلدها، من بينها قيادته لأسطول منطقة ميكان، وقد وجد اسم هذا الحاكم في عدة نقوش أخرى.

3.6- نقيشة ثنية المكسن (نواحي سطيف):

يقترّب تاريخ هذه النقيشة من تاريخ نقيشة المهديّة السابق، وتشير الكتابة إلى ائتلاف ثلاثة من أمراء البوار الذين واجهوا الجيش الروماني في مضيق ثنية المكسن، وربما كانت المحاصيل الزراعية الدافع الأساسي وراء زحف هذه القبائل من الجبال نحو سهول سطيف (Camps, 1955: 1397).

جدول 05: نص كتابة نقيشة ثنية المكسن

.....Bavarum gentes quorum omnis mul
Titu (do prosrtata est , interfeectis Taganin Masmule et Fahem reg
Bus adpraehensis etiam afram / fa ...vasamen et ...inim com
Lectis rega[libus vota diis immortalibus Getulor [persolv] it
Sul (pi)
Cius sac[rat] us.

4.6- نقيشة عين بوديب بنواحي سور الغزلان، المؤرخة حوالي 254م:

تشير هذه النقيشة إلى احتفال حاكم موريطانيا القيصرية ماركوس أورليوس فتاليس، وقائد الجناح العسكري للتراكيين أليبيوس كاستوس، بانتصارهما على قبائل البوار بنواحي أوزيا، إذ قُتلوا وأُجبروا على الفرار، وقد خُصص الإهداء إلى الإله الأعظم جوبيتر وكل الآلهة الأبدية المنتصرة (مهنتل، 2016: 433).

جدول 05: نص كتابة نقيشة ثنية المكسن

I(ovi)O(ptimo) M(aximo)Gennisque diis[i]mmortalibus

[vict]oriisque d(ominorum)n(ostorum) invic[t]orum M(arcus)
 Aur vitalis v(ir) e(gregius) p(raeses) p(rovinciae)
 Maur(etaniae)Caesarien(sis)Ulp(ius)Castus dec(urio) alae
 Thracum ob Barbaros cesos et fusos v(otum)
 s(olvit)(libens)a(nimo)[...]idus A ugusta a (nno) p(rovinciae)cc
 et xv

5.6- نقيشة أوزيا (Auzia) بمقاطعة موريطانيا السطايفية، المؤرخة في 26 مارس
 260م:

تتشترك هذه النقيشة تقريبا مع نقيشة لامبيز في وصف الأحداث نفسها التي شهدتها
 المغرب القديم، إذ تعارك القائد كونتوس قرقليوس مع قبائل البوار والفراكنس، وربما
 جرت بينهم عدة معارك، من بينها التوترات الواقعة على طول حدود مقاطعتي نوميديا
 وموريطانيا القيصرية، قبل أن يقع في كمين نصبه له البوار (Christol, 1976: 72).

جدول 06: نص كتابة نقيشة أوزيا

Q(uinto)GargilioQ(uinti)f(ilio)Q(uirina tribu)Maritali eq(uiti
)r(omano) praef(ecto)coh(ortis)Astyrum pr(ovinciae)Britta
 niae trib(un)coh(ortis)Hispanorumpr(ovinciae)Mauretaniae
 Cae(sariensis)
 a mil(itiis)praep(osito)coh(ortis)sing(ularium)et
 vex(illationis)
 eq(q)(uitum)Maurorum interterritorio
 Auziensisi praetendentium
 dec(urioni)duarum col(l)(oniarum)Auzien
 sis et Rusgunem et patrono
 prov(inciae)ob insignem in ci/ves

amorem et singula/rem erga patriam adfec
tionem et quod eius
vir/tute ac vigilantia Fa
raxen rebellis cum sa/tellibus suisfuerit
captus et interfectus
ordo col(oniae)Auziensis insidiis Bavarum de
cepto p(ecunia) p(ubliea) f(ecit)d(ecreto) d(ecurionum)V III kal(endas)
A pr(ilis) anno pr(ovinciae) CCXXL

انطلاقاً من هذه النقيشة، تمكن الباحثون من قراءة الأحداث التي تزامنت مع فترة تواجد قبائل البوار، فهي توحى بأنها إهداء لكوينتوس قرقليوس مالتالييس، قائد منطقة أوزيا، من طبقة الفرسان، والذي تابع مسيرته المهنية في مقاطعة موريطانيا قبل أن يلتحق بموريطانيا القيصرية، حيث كان يشرف على الفرق العسكرية الخاصة بالحرس وفرق الفرسان الموريين، وتشيد الكتابة بحبه لمدينته أوزيا، إذ حصل على شرف حامي المقاطعة وعضوية المجلس البلدي فيها، وقد لقي حتفه على يد البوار الذين نصبوا له كميناً عند عودته من الحرب التي خاضها ضد الفراكسن بعد أن تمكن من القبض على أميرهم.

6.6- نقيشة مليانة (Zuccabor)، المؤرخة في 1 جانفي 263م:

أهديت هذه النقيشة إلى حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية الذي لُقّب آنذاك بـ "المدافع"، وهو ما يعكس فترة التمردات التي اندلعت ما بين (253-262م)، وشملت كوندرالية مكونة من البوار المعتصمين في كتلة البابور، إلى جانب قبائل أخرى (Camps, 1955: 269).

جدول 07: نص كتابة نقيشة مليانة

Di(i)s P[at]riis de /abusque Fortun(a)e/Reduci pro salute/a[t]que
incolumitate/d(omini) n(ostr)i
im[p(eratoris)]C[a]e(saris)/P(ubl)i)Licini

G[a]llie[n]i/PiiFel(ici)sAug(usti)/M(arcus)Aurel(ius)

Victor/v(ir)e(gregius)pr(a)eses

(!)prov(inciae)ccxxIII/k(alendis)I

7.6- نقيشة Zuccabor أو Affreville (مليانة) بشمال الونشريس، في مقاطعة موريطانيا القيصرية، المؤرخة في عهد الإمبراطور ديوكليديانوس [284-289م]:

تُخلد هذه النقيشة انتصار الحاكم الروماني إيليوس أليانوس (Aelianus Aelus) على أحد فروع قبائل البوار الغربيين، وهم الماسقنانتس (Mesegneites)، وقد جرت أحداثها في منطقتي الشلف والونشريس حيث قضى عليهم وأخذ منهم الغنائم والأسرى (خاتمي، 2017: 32).

جدول 08: نص كتابة نقيشة مليانة Zuccabor أو Affreville

Diis Patriis et Mauris

Conservatoribus

Aelius Aelianus v(ir)p(erfectissimus)

praeses provinciae

Mauretaniae Caes(ariensis)

ob prostratam gentem

Bavarum Mesegneitsium

praedasque omnes ac fami

lias eorum

abductas/votum solvit

قد أصبحت مدينة أوزيا (Auzia) مسرحاً لهذه الاضطرابات العسكرية، إذ سجلت النقائش الأثرية أيضاً مقاومة البوار الشرقيين، النازحين من جبال جرجرة إلى نواحي أوزيا، في حدود سنتي 290-293م ضد الرومان الذين أقاموا حواجز في جميع النقاط المهددة باجتياح الجبليين في الهضاب والسهول، وبذلك نُقشت انتصارات القادة الرومان

تحركات قبائل البوار في مقاطعة موريطانيا القيصرية
ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني

تخليدًا لإنجازاتهم وتفوقهم على هذه القبائل، سواء في قيصرية أو في صلداي (Camps, 1955: 269).

8.6- نقيشة القيصرية (شرشال) بموريطانيا القيصرية، المؤرخة في حدود 290-292م:

تشير هذه النقيشة إلى إهداء قدمه حاكم موريطانيا القيصرية أورليوس ليتوافر (T. Aurelius Litua) في عهد الإمبراطورين ديوكليديانوس وماكسميانوس (290-292م) إلى الإله جوبيتر الطيب والأعظم وإلى الآلهة الخالدة، بمناسبة احتفاله بالانتصار الذي حققه على أحد فروع قبائل البوار، وهو فرع ترانس تاغنسيبوس (Transtagnensibus) القادمين من وراء الشطوط القريبة من القيصرية، وإبرام الهدنة والسلام، كما ورد في النص أيضًا ذكر كلمة باباريس (Babaris) (خاتمي، 2017: 34).

جدول 09: نص كتابة نقيشة القيصرية

Iovi Optimo Maximo/ceterisque dis/immortalibus/gratum
referens/quod erasis funditus/babaris()Trantagnen/sibus secunda
praeda/facta salvus et incolumis/cum
omnib(us)militibus/dd(ominorum)nn(ostrorum)Diocletiani et
Maximiani Augg(ustorum)/regressus/Aurel(ius)Ltua v(ir)
p(erfectissimus) p(raeses) p(rovinciae)
M(auretaniae)C(aesariensis)/votum libens posui

بالإضافة إلى هذه النقائش التي تذكر مدى حركية هذه القبائل من الناحيتين الشرقية والغربية من بلاد المغرب القديم، عُثر في سنتي 366م و496م على نقيشتين جنائزيتين في دوار أربال بوهران (Regiae) بموريطانيا القيصرية، وتدل شواهد هذه القبور على مقتل مواطنين رومانيين على يد البوار، اكتشفت في دوار أربال بالمنطقة الوهرانية، إذ كشفت النقيشة الأولى، المؤرخة بسنة 366م، على مقتل مواطن روماني يُدعى ماركوس لوليوس صابينوس (Marcus Lollius Sabinus) عن عمر ناهز 31 عاما (دريسي، 2014: 29).

جدول 10: النقيشة الجنائزية الأولى

D(is) M(anibus)S(acrum)/M(arco)Lollio Sa /Bino marito
 Amantissim /O qui a vi (ctima) Bav /Rus passus
 est vixit an(nos) /XxxI Aurelia /Mai(i)orica ti
 Tulu (m) fecit an(no)p(rovincia)ccc
 [xx]vii Ma(nlio ?)Lollio F / []so vix(it)an(nos)XX [] i

أما النقيشة الجنائزية الثانية، المؤرخة في سنة 496م، فتتص على مقتل مواطن روماني يُدعى بوبليوس أيليوس فيليكس (Publio Aelio Felici) على يد قبائل البوار، وقد كان في الثلاثين من عمره (مهنتل، 436).

جدول 11: النقيشة الجنائزية الثانية

D(is) M(anibus)S(acrum) /P(ublio)(A)elioFelici
 A mantissimo [qui]vi Bavarum /perfect[u]s [es] t vixit an (nis)
 Xxx ma[ter] /Aram[atq(ue)]t
 Itulu (m)fece [runt] /pro(vincia)cc

انطلاقاً من هذه الكتابات اللاتينية التي ذُكر فيها اسم البوار، يتضح لنا كدارسين لتاريخ المنطقة أن الإطار الجغرافي الذي جسّدته حركية هذه القبائل كان واسعاً جداً، إذ شمل أربع مقاطعات رومانية: موريطانيا القيصرية، وموريطانيا الطنجية، و موريطانيا السطايفية، وأخيراً نوميديا، مما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذه القبيلة لم تكن مستقرة بطبيعتها واتسمت بالترحال، بينما يرى آخرون أنها انقسمت إلى كونفدراليتين: بوار الجهة الشرقية وبوار الجهة الغربية.

زيادة عن ذلك، فإن النقيشة الأثرية التي عُثر عليها في منطقة البيض سنة 2014م تقدم صورة جديدة عن تحركات هذه القبيلة، إذ يُعد تاريخ 198-200م بداية للصراع والمواجهة بين السلطة الرومانية والقبائل المحلية في عهد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس، غير أن مكان العثور على هذه الكتابة يفرض إعادة النظر في مسألة التحكم بالخطوط الدفاعية (الليمس)، ذلك أن منطقة البيض بعيدة عن الخط الحدودي الذي أقامه الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس، ولو أننا نعلم أن السلطة الرومانية أنشأت أبراجاً

أمامية متقدمة، مثل الذي عُثر عليه بمقربة من الشط الشرقي، أو ما تؤكد كتابه أُنْب (منطقة أفلو) حول إقامة بعثة عسكرية وقاعدة أمامية سنة 175م، إضافة إلى بعض الهياكل المعمارية التي قد تدل على تمرکز الرومان.

7- مصير قبائل البوار بين استمرارية التواجد أو الاختفاء:

حاول الاحتلال الروماني السيطرة على جميع المناطق المستعصية من خلال العمل على محاولات إدماج قبائل الرحل في إطار المدينة الرومانية للتخلص من خطرهما المستمر، كما قاموا بإخضاع وتطوير القبائل الثائرة عن طريق مصادرة ممتلكاتها وضرب مصادر المؤن والذخائر التابعة لها، إلا أنه بالعودة لما جاءت به النقائش التي عُثر عليها بالمقاطعات الإفريقية، نجد أنها تظهر تقليدًا من شأن تلك الثورات المحلية، من خلال وصفها بأعمال اللصوصية وتعريض كبريات المدن الرومانية إلى التخريب، وبالمقابل تقفن الرومان في النباهي بانتصارات حكام المقاطعات على القبائل الثائرة، ثم ما يثير انتباهنا كمهتمين بتدوين التاريخ القديم للمنطقة هو ملاحظة التنظيم بين القبائل المحلية الذي اقتضى في بعض الأحيان إلى التحالف فيما بينها لتحقيق هدفها المشترك وطرده الاحتلال الروماني (قادري، 2022: 605).

هذه الإستراتيجية التي اتبعتها قبائل البوار مع بعض القبائل المحلية أبانت على مدى وعيها السياسي وذكائها العسكري، مستغلة أية فرصة ممكنة آنذاك للإطاحة بالسلطة الرومانية، إلا أنه يبدو أن اختفاء البوار الشرقيين كان سريعاً، إذ لم يرد ذكر اسمهم في المصادر الأدبية اللاحقة في نهاية القرن الثالث ميلادي، مما يدل على اضمحلال دورهم الثوري، أما بخصوص البوار الغربيين فيصعب تحديد تاريخهم بدقة، لأن الأفارقة غير المترومين في تلك الفترة قد حملوا في فترة معينة اسم "المور"، مع أنه لا شيء يثبت زوال هذا الأسماء المحلية لتلك القبائل، إلا أن الكثير من المصادر قد صمتت على ذكر أخبار الكثير منها (شنيتي، 1984: 306).

الجدير بالذكر أيضاً أن قبائل البوار لم تحقق أي انتصار على السلطة الرومانية، على نقيض من ذلك أن سجلت روما جميع انتصاراتها على النقوش تخليداً لها، لتكون بمثابة شهادة حيّة على الصعوبات التي واجهتها روما في هذه المقاطعة الإفريقية، ويُعتبرون أن المقاومات العسكرية المحلية لم تكن مجرد هجمات بسيطة لقطاع طرق، بل إن تخليد الحاكم لانتصاره دليل على أنه كان في مواجهة قوة منظمة عسكرياً استوجبت تدخله المباشر لإخمادها، وهو ما حرص على إعلانه صراحة في نص الكتابة.

الخاتمة:

أفرزت ثورات قبائل البوار عقب الصراع الذي خاضته ضد السلطة الرومانية ، مجموعة من النتائج يمكن إيجازها في أبرز النقاط التالية :

شكلت قبائل البوار إحدى أبرز الأقوام المورية التي ظهرت ضمن الإطار الجغرافي لمقاطعة موريطانيا القيصرية ، ويظهر هذا الأمر من خلال عددها الكبير ، وتنوع فروعها العرقية، فضلا عن تحركاتها المستمرة في كامل المقاطعة خاصة بعد اقتراب السلطة الرومانية من مناطق نفوذها ومجالها الحيوي، مما صعب تحديد موطنها الأصلي ومعرفة نمط معيشتها.

استطاعت قبائل البوار تهديد الاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم خاصة بعد فشل السلطة الرومانية في القضاء عليها ، وهو ما حتم عليها ضرورة استمالة والتفاوض مع مشايخها وأمرائها من أجل تهدئة الوضع السياسي وفرض الاستقرار في المنطقة من جديد .

نتيجة التوسع الروماني في المناطق الداخلية ، أن اضطرت قبائل البوار إلى عقد سلسلة من التحالفات القبلية مع بعض القبائل المحلية الأخرى والتنسيق معها عسكريا ، وهو ليس بأمر غريب على الأمراء المحليين ، بل يعود لبدايات الاحتلال الروماني للمنطقة.

إن السياسة الرومانية الاستغلالية والإستراتيجية الأمنية، كمرقبة و تطويق السهول والهضاب ، وبناء التحصينات العسكرية ، وشق الطرقات المطبقة في المنطقة ، أن أثرت على طبيعة التمرکز الجغرافي للقبائل المحلية ، وإحداث خلل كبير في نمط معيشتهم.

تم ذكر قبائل البوار في حوالي خمسة عشر نقيشة لاتينية ، عثر عليها في العديد من مواقع موريطانيا القيصرية ، السطايفية و نوميديا ، ولكن حسب المعلومات التاريخية المتعلقة بالانتشار الجغرافي لهذه القبيلة، تمكنا من رسم خريطة جغرافية مترامية الأطراف لموطن هذا الأقوام التي ظهرت على مسرح الأحداث خلال القرن الثالث والرابع ميلاديين ، إذ انقسموا إلى البوار الغربيين ، البوار الشرقيين.

إذا كانت سلسلة المقاومات التي خاضتها قبائل البوار ضد السلطة الرومانية لم تحقق انتصارا حاسما على الجيوش الرومانية النظامية المحترفة ، إلا أنها نجحت في إضعاف الهيمنة الرومانية وإحداث فجوات كبرى بين صفوف الجيش الروماني الذي لم يصمد فيما بعد أمام التهديدات الأخرى (الاحتلال الوندالي).

تدل استمرارية الاضطرابات والثورات على رفض النظام الروماني الرأسي إلى فرض الاستقرار وضرب النمط المعيشي لقبائل البوار، وعلى فشل محاولات الرومنة وعجزهم في إخضاع المناطق الجبلية في موريطانيا القيصرية، وهذا ما يدفع إلى رفض النظرية القائلة أن المدينة الرومانية قلّت من مقاومة القبائل المغاربية

من خلال الإشارة إلى النقائش الأثرية التي تناولت التاريخ السياسي والعسكري لقبائل البوار، لابد من تكثيف الجهود أكثر بين المختصين في مجال التاريخ القديم والآثار للتنقيب أكثر في المناطق الداخلية القريبة من خط الليمس، هذه الأخيرة التي يمكن أن تقف ما تذكره بعض الدراسات القديمة و تتور المهتمين بهذا الأمر بمحطات تاريخية جديدة. بهدف يتضح لمتتبع تاريخ المغرب القديم عامة والنوميدي منه بصفة خاصة،

ضرورة التنسيق أكثر بين الجامعات الجزائرية والمخابر البحثية المهمة بتدوين تاريخ الجزائر، خاصة فيما يتعلق بالفترة القديمة من خلال خلق أطر ومسارات بحثية جديدة أكاديمية ومنظمة، نظرا لأن بأن المرحلة التاريخية القديمة لم تتضح معالمها بعد، وإنما تحتاج إلى المزيد من البحوث الجادة وتوحيد وجهات نظر المختصين في هذا الميدان، وكذا اختيار المصطلحات التاريخية الدقيقة بغية التوصل إلى ربط مختلف حلقات التلاحق الحضاري بين الحضارات الإنسانية التي توالى على الجزائر، ومعرفة التركيبة البشرية التي استوطنت فيها.

¹ يرى كل من أوزينات (Euzennat) وكورتوا (Courtois) أن البوار شعب واحد من الرحالة، سكنوا منطقة تمتد من الجزء الأعلى لوادي الملوية إلى غاية جنوب شرق سطيف.

² أثار أصل هذه القبائل جدالا واسعا بين المؤرخين: هل هم بدو أم جليلون؟ ويرى كامبس (Camps) أنهم جليلون، وهم أشد خطرا على روما، في حين بنى كاركوبينو (Carcopino) فكرة البداوة، دون أن يتضح الأساس الذي اعتمد عليه في هذا التصنيف.

³ قبائل المازيس (Mazeces): يذكرهم بطليموس مرتين، مرة في موريطانيا الطنجية وأخرى في موريطانيا القيصرية، وإن كلمات "المازيك" أو "المازيس" أو "أمازيغ" مشتقة من الجذر (م.ز.غ) (M.Z.G).

⁴ قبائل البقواط: تذكر النصوص الأثرية أن موطنها كان يمتد من وادي ملوية إلى المحيط الأطلسي، ما بين فولبيليس (Volubilis / ويلي) إلى الأطلس الأوسط، وكانت على صلة تعاون وتحالف مع قبائل البوار في المنطقة الممتدة بين تلمسان ومسيرة، وقد استمرت هذه القبيلة في إقليمها إلى الفتح

الإسلامي، وذكرتها المصادر العربية باسم "برغواطة"، وكان لها نشاط ملحوظ في عهد الولاة... (عقون، 2008، ص. 160-161).

⁵ يُعتقد أن فرع ترانس تاغنسيوس (Transtagnensibus) من الأقوام الجبلية قدم من وراء الشطوط القريبة من القيصرية، أي من وادي الشلف الأقرب لها، ويُرجح أنها كانت إحدى فروع البوار المحصنة بالونشريس والتي داهمت القيصرية، مما أتاح للوكيل العام بالقيصرية أوريليوس ليتوافر تحقيق الانتصار عليهم وتوقيع معاهدة سلام مع إحدى فروع البوار. (Tauxier, 1864: 29).

⁶ نُقش نص الكتابة على لوحة من الحجر الجيري، يبلغ طولها 0.80م وعرضها 0.70م، ويُقدر سمكها بـ 0.15م، ويتكون النص من ثمانية أسطر كُتبت بخط متقن... (دريسي، 2014: 21).

⁷ قبائل الحلف الخماسي: ذكرتها المصادر اللاتينية ككونفدرالية متمركزة في المناطق الجبلية الممتدة بين دلس غربا وبجاية شرقا وجمال جرجرة جنوبا والبحر الأبيض المتوسط شمالا، إذ تغطي معظم منطقة القبائل الكبرى، وقد حظيت هذه القبائل باهتمام مؤرخي الاستعمار الذين أنجزوا دراسات حول تشكيلة هذا الحلف، فهو يتكون، بحسب كانيا (Cagnat)، من الهاسنيسانس والتندسيس والتوباليني... إلخ. بينما قدم كورتوا (Courtois) وغزيل (Gsell) دراسات أخرى حول هذا التحالف، خاصة فيما يتعلق بمقاومتهم للرومان وحركيتهم في المغرب القديم (عقون، 2008: 161).

⁸ قبائل الفراكسن (الفراكسينانس): اندلعت ثورتهم ما بين 259-260م، وتميزت بعدائها الشديد للرومان، وكان مركزها في منطقة القبائل الكبرى الحالية (محفوظ، 2014: 207).

قائمة المراجع:

- جوليان، شارل أندري، (1969). تاريخ إفريقيا الشمالية (ج1، ترجمة: محمد مزالي والبشير سلامة). تونس: الدار التونسية للنشر.
- خاتمي، مصطفى، (2017). «قبائل الونشريس ودورهم في المقاومات خلال الفترة الرومانية (40-284م)». مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مؤسسة هيروودوت للبحث العلمي، 1(3)، ص.ص 19-43.
- دريسي، سليم، (2014). «قراءة وتحليل للكتابة الأثرية المكتشفة بالبيض». مجلة الآثار، جامعة الجزائر 2، 12(1)، ص.ص 21-32.
- شنييتي، محمد البشير، (1984). التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- قادري، حدة، (2002). «قبائل موريطانيا السطايفية ومقاومة الاحتلال الروماني: ثورات قبائل البوار والحلف الخماسي أنموذجا». مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة 1، 23(1)، ص.ص 589-610.
- العياضي، حفيظة، (2016). «المنظومة القبلية في الأوراس من الكيان النوميدي إلى الاحتلال الروماني». مجلة عصور الجديدة، جامعة أحمد بن بلة (وهران)، 6(24)، ص.ص 12-23.

تحركات قبائل البوار في مقاطعة موريطانيا القيصرية
ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني

- العياضي، حفيظة، (2017). «القبيلة والمغرب الروماني». مجلة دراسات تراثية، 11(1)، ص.ص 249-267.
- عقون، محمد العربي، (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- مهنتل، جهيدة، (2016). «قبائل البوار في المغرب القديم على ضوء المصادر والنقوش اللاتينية». دراسات في آثار الوطن العربي، 19(1)، ص.ص 441-427.
- مقدم، بنت النبي، (2019). «القبائل الجبلية في الجزائر أثناء العهد الروماني». مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، 15(2)، ص.ص 120-96.
- محفوظ، خالد، (2014). «مقاومة القبائل الموربة ضد الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث: بحث في العلاقات الموربة الرومانية». مجلة دراسات تراثية، 8(1)، ص.ص 217-197.
- صفر، أحمد، (2008). مدينة المغرب العربي في التاريخ (ج1). تونس: دار بوسلامة.
- Banabou, Marcel. (1976). La résistance africaine à la romanisation. Paris.
- Camps, Gabriel. (1955). Les Bavares, peuple de Maurétanie Césarienne. Revue Africaine.
- Camps, Gabriel. (1991). Bavares. Aix-en-Provence, (9).
- Camps, Gabriel. (2007). Les Berbères: Mémoire et identité. Alger: Éditions Barzakh.
- Cagnat, René. (1913). L'armée romaine d'Afrique. Paris
- Christol, Michel. (1976). Prosopographie de Numidie. Antiquités Africaines.
- Marcellin, Ammien. (1984). Histoire (XXIX, 5, 33). Paris: Édit. M.A. Marie.
- Moderan, Yves. (2003). Les Maures et l'Afrique romaine (IV-VIIe siècle). Rome: École Française de Rome.
- Tauxier, Henri. (1864). Études sur les migrations. Revue Africaine, 8.